

أمثال القرآن

[493] السفينة وشاهد ابنه موشكاً على الغرق طلب من الله الطلبة التالية: (رَبِّ إِنِّي ابْنِي مِنْهُ أَهْلِي وَإِنِّي وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَكْرَمُ الْحَاكِمِينَ) (1). وهو يشير بالوعد إلى ما ورد ذكره في الآية 40 من سورة هود، حيث وعد الله نوحاً أن يحمل أهله ومعه ويركبهم السفينة. أجاب الله نوحاً في الآية 46 من سورة هود، وأشار فيها إلى أن الله لا تأثير للعلاقة والقرابة النسبية في هذا الموضوع، إذ ورد هناك: (قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ). نعم، العلاقة لا تؤثر ولو كانت قوية بدرجة النبوة، فهي غير مفيدة ما دام الإنسان غير صالح، ولهذا كانت عاقبة ابن نوح، كباقي الكفار، الغرق. في قصة الامام السجاد (عليه السلام) مع طاوس الفقيه عبرة، نقرأها هنا: يقول طاوس الفقيه: رأيته يطوف من العشاء إلى السحر ويتعبّد، فلمّا لم يرَ أحداً رمق السماء بطرفه وقال: "إلهي غارت نجوم سماواتك، وهجعت عيون أنامك، وأبوابك مفتحات للسائلين، جئتك لتغفر لي وترحمني وتريني وجه جدّي محمّد (صلى الله عليه وآله) في عرصات القيامة"، ثم بكى وقال: "وعزّتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك، وما عصيتك إذ عصيتك وأنا بك شاك، ولا بنكالك جاهل، ولا لعقوبتك متعرّض، ولكن سوّلت لي نفسي وأعانني على ذلك سترك المرخي به عليّ...". ثم بكى وقال: "سبحانك تَعْصِي كَأَنْتَ لَا تَرَى، وتحلم كأنّك لم تعص، تنودّ إلى خلقك بحسن الصنيع كأنّك بك الحاجة إليهم، وأنت يا سيدي الغني عنهم" ثم خرّ إلى الأرض ساجداً. قال: فدنوت منه وشلت برأسه ووضعت على ركبتي وبكيت حتى جرت دموعي على خدّه، فاستوى جالسا وقال: "من الذي أشغلني عن ذكر ربّي؟" فقلت: أنا طاوس يا ابن رسول الله، ما هذا الجزع والفرع؟ ونحن يلزمنا أن نفعل مثل هذا، 1. هود: 45.